1414

صاحب الجلالة يجيب على كلمة رئيس المجلس العلمي لمدينة فاس

الرباط — احيى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في ضريح محمد الخامس الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة جلالة المغفور له محمد الخامس.

وخلال الحفل القى رئيس المجلس العلمي لمدينة فاس الاستاذ الحاج احمد ابن شقرون كلمة بين يدي جلالة الملك التمس فيها الرعاية الملكية لخزانة جامع القرويين بفاس، مذكرا بالتراث العلمي الزاخر وبنفائس المخطوطات في مختلف الفنون والعلوم التي تشتمل عليها هذه الخزانة ذات الشهرة العالمية، واكد على ضرورة الاسراع على انقاذها حتى ترى نفائسها النور.

ورد جلالة الملك على كلمة رئيس المجلس العلمي لمدينة فاس بالكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات العلماء اعضاء المجلس العلمي

اننا متأثرون جدا بالصراحة التي صرحتم بها لانقاذ خزانة القرويين، ولا احد يعرف قيمة الخزانة مثل عبد ربه الضعيف هذا، اذ رباني والدي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته على احترام العلم والعلماء والمحافظة على الكتب والمصنفات.

فعلا ان الخزانة الفاسية القروية تحتوي على نفائس من جميع الفنون ومن جميع العصور ومن جميع اجناس الكتاب والمصنفين.

فلم تعد خزانة القرويين خزانة فاس وحدها، بل يمكن ان نقول : انها اصبحت خزانة التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية المفتوحة في وجه كل رائد ان يرتوي من مكنونها، وان يرفع تاج الاسلام والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم، وذلك بابراز ماقاموا به وما نقشوه في صدور من خلفهم من العلماء الى يومنا هذا من علوم شتى وفنون مختلفة.

واننا نعلم ان نداءكم هذا هو نداء خطير جدا، لا فيما يخص وزنه وثقله المادي فقط، بل فيما يعنيه من جسامة الامانة ووجوب الاسترسال في المحافظة والرعاية ايضا، وبعد التفكير الطويل والبحث الدقيق، وحتى يمكن لعبد ربه الضعيف هذا ان يكون وفيا لكم ولجميع رواد العلم في العالم الاسلامي كان من الواجب ان اتروى كثيرا قبل ان اعطيكم الجواب.

والجواب، كما تعلمون، لا يمكن ان يكون الا نعم، الا ان نعم هذه لا تخرج عفواً ولا تخرج ارتجالا، بل كانت نتيجة حوار بيني وبين ضميري، وبيني وبين من سأختاره واصطفيه بعون الله سبحانه وقدرته للقيام بهذه الرعاية، وللسهر على استمرار هذه العناية والصيانة.

الا انني أطلب منكم مهلة من الزمن لأجد في قصرنا العامر في فاس الذي هو في آن واحد دار جميع المغاربة، فاسيين كانوا او غير فاسيين، لأوجد لها وأهيىء جناحا خاصا يجهز التجهيز اللازم، التجهيز العصري الذي يضمن لهذه الخزانة السعة ويوفر لها جميع شروط المحافظة والاستمرار.

ولابد لنا من ايجاد مختبر خاص، ولابد من خلق معمل خاص بالترميم، ولابد لنا من ان نحيط هذه الكنوز بجميع وسائل الوقاية اما من الحشرات، واما من بني آدم، ويجب أن يكون هذا الجناح من القصر الملكي قابلا لأن يكون مفتوحا صباح مساء أمام الزوار وامام رواد العلم، وأمام من أراد أن ينهل من ذلك المنهل، وان ينير طريقه وسبيله بتلك النفائس التي خلفها لنا آباؤنا وأجدادنا.

وكثيرا ما نفتخر نحن العرب بهذا البيت

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ونعني بالآثار المبنية او الهياكل المادية او الحجارات المنقوشة، وانني اعتقد أن اثر خزانة القرويين هو اثمن الآثار واجدر ان نستشهد به نحن المغاربة على أصالتنا اولا، وعروبتنا ثانيا، وتعلقنا بالاسلام ثالثا، وبهويتنا الخاصة رابعا،والتي تمتاز بكونها هوية مغربية، وليست هوية مخضرمة، هوية صرفة اراد الله سبحانه وتعالى ان تكون مصاغة في قرارة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفقنا الله جميعا الى الخير، ويسر لنا سبيل النجاح، ومرة اخرى اشكركم على الثقة الغالية التي وضعتموها في عبد الله الضعيف امير المؤمنين، والذي من واجبه حماية الملة والدين.

وبعملنا هذا سنحاول مرة اخرى ان نكون بارين بقسمنا مدركين ومحترمين لالتزاماتنا الدينية والدستورية، اعاننا الله جميعا على ذلك، واطال بقاء هذه الخزانة وما يماثلها، وأطال أسرة من سيزورها وينتفع منها، مغاربة كانوا او غير مغاربة، حتى نعيد لهذا الدين عزته، ولهذه الحضارة اوجها، وحتى نعيد لحرمتنا كمسلمين وكعرب ما يجب للغة الضاد من احترام وما يجب ان نحيطها به من تحليل لخطورتها، اذا هي كانت مجهولة من لدن المسلمين.

الجهل باللغة هو الذي ادى الى الرهبانية، تلك الرهبانية التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم : «لا رهبانية في الاسلام» وسبب ظهور الفساد والخروج عن الجماعة وشق عصى الطاعة على السنة هو الجهل باللغة العربية.

فحفظ القرآن الكريم لا يعني فهم القرآن، وهكذا منذ العصور والاحقاب تكونت «وان كان الفضل في غير محله» بسبب جهل المسلمين للغة العربية تكونت طبقة خاصة من الذين يعرفون الكتاب ويعرفون سنة رسول الله، فما دامت الشعلة الاسلامية طاهرة طيبة حية نقية لم تكن تلك الطبقة من الطبقات الضارة والضالة، ولكن مع خمود جذوة الايمان وانتشار المادة، وتعرف العرب على شعوب كانت لها حضارتها وآلهتها واديانها، وبعد ما تفككت الاواصر بين الحاكمين والمحكومين اصبحت بعض الجهات من العالم الاسلامي غير العربية تحن إلى معتقداتها أو إلى بعض معتقداتها، فصارت تضع الأحاديث وترويها على من أراد وتفسر القرآن كما أرادت.

فأصبحت بعد ذلك الامة الاسلامية أمة لا أقول ضالة ولكن مضللة، وأصبحت فيها فرق وشيع افرغتها من طهارتها الاولى وعكرت عذب كوثرها الاصيل، وجعلت زيدا وعمراً يتلاعبون بالحديث والايات، ويحرمون ويحلون، حتى رأينا اليوم المسلمين حينما يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله، علما منهم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء يختلفون في جوهر الشهادة.

ذلك ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليس خاتم الانبياء ولا آخر المرسلين عند بعض المسلمين، وهكذا وصل بنا التعكير الى التنكير، والجهل الى الاشراك.



ولهذا كنا في المؤتمر الأخير للدول الاسلامية بالدار البيضاء ناشدنا جميع الدول الاسلامية بأن تعطي للدراسة العربية ما يجب لها من حصص في المدارس والكليات، حتى نمحو هذه الطبقة المترهبة التي نفاها النبي وان كان أميا، فاحاديثه هي منهل النحو والبلاغة حيث انه قال: «لا رهبانية في الاسلام» نفيا باتا وجملة واحدة لا تتلوها اية جملة اخرى لتفسيرها، حتى تنقص منها او تعطي المجال للآخرين لتفسيرها، حكم حكما باتاً، لا استئناف ولا نقض ولا ابرام «لا رهبانية في الاسلام».

اعاننا الله سبحانه وتعالى على ان نكون واعين تمام الوعي بهذه الثغرة الخطيرة التي وقعت في العالم الاسلامي، والتي هي الآن لا تمتليء طينا ولا تربة تنجب الحياة وتنجب العلم، وانما هي ثغرات تملأ يومياً بدماء المسلمين في حرب اخوية مجرمة.

فالله سبحانه وتعالى ندعو ان يهدي كلا من ايران والعراق، فلا يمكننا كمسلمين ان نفضل هذا على ذاك، يمكننا كمسلمين ان نقول لهذا معك الحق ولهذا لست على صواب، (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما)، ونقف هنا.

فعلينا ان نستمر في بذل كل الجهود الحميدة لرأب الصدع ولوصل ما أمر الله به ان يوصل، وعلينا ان نتضرع الى الله سبحانه وتعالى ونسأله أن يجمع بين قلوب المسلمين ويوحد صفوفهم، ويجعلهم في الارض ومن الآن خلفاء ويجعلهم تلك الامة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

ان الله سبحانه وتعالى لم يخيبنا ولن يخيبنا، وانا لنرجوه في هذا الشهر المبارك ان يظهر علينا من خيراته وفضائله وجماله وكرمه ما هو به جدير، انه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الأحد 10 رمضان 1404 — 10 يونيه 1984